ابي الحسن البكري الصديقي فيما حصل لنبينا صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى مؤلفا سماه القول
الاجل في حكمة كرب المصطفى عند حلول الاجل وهو الحمد لله وسلام على عباده الذين
اصطفى هذا ما دعت اليه حاجة السايل عن وجه الحكمة فيما نزل برسول الله
صلى الله عليه وسلم من شدة الكرب في سكرات الموت حتى قال واكرباه وقال لا اله الا
الله ان للموت سكرات وجعل يمسح وجهه بالماء فاقول لا شك ان مزاجه الشريف
النبوي من الاعتدال بالوصف الاعظم والحال الاكرم فلا جرم يكون احساسه بالالام
اكثر ووجدانه لاثاره اكبر ومن ثم قال اني لاوعك كما يوعك رجلان منكم واذا اعتدلت
كفتا ميزان تحصل في واحدة منهما ايسر شي ظهر الميل هذا مع ما ينضم الى ذلك المزاج
الشريف من قوة تشبث الحياة الانسانية به كيف وهو كان دهنها الاصلية وقوام حقيقتها
العلية فاذا احست بالترحال عن روضة جسمه المقدسة وحظيرة ذاته المكرمة
عز عليها ذلك بما يظهر به مثل ما وقع له صلى الله عليه وسلم مع ما ينضم لذلك من ان
الله تعالى اذا اجرى مثل ذلك الوصف على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
ذلك مسلاة لما تنازله امته من تلك الشدايد ومحمدة لعروق القلق المتزايد
فانه وهو حبيب واعز خلقه عليه جعل ادر وجده عليه على هذه الصورة ليسهل على كل
احد حال نفسه في ذلك مع ما ينضم الى ذلك من ان الله جعله طاويا لا فذاذا امته
في حقيقته الشريفة بل لافذاذ الكاينات ضرورة انه سبب قيامها وملاك قوامها
وسابق عليها والحق ناظر من مقلة جنابه الشريف اليها وانه علتها الاصلية ومنشا
وجوداتها الفرعية فان الكون على جواهره واعراضه مستمد من حضرته وهو سار فيه
سريان حكمة الله تعالى في خليقته وبراهين ذلك تضيق بها الطوامير والصحف
فنشا من ذلك ان فراق روحه الشريفة كانه فراق كل روح لكل جسد وكل حياة
لكل حي من كافة ما دارت عليه منطقة الوجود واحاط به اسم الموجود فاذا حيث
لم يحصل له الكرب المشهود والحال ما سطرناه امر جلل وشر من عز وغيض
من فيض وقل من جل مع ما ينظر الى ذلك مما يحمله صلى الله عليه وسلم بما نازله في ذلك
الوقت شدة اعباء هذا الامر عما ذكر منظورا في ذلك الى خصوص امته بتكليف
تحمل قوة هذا الامر عنهم او ما سمعت الله تعالى يقول عزيز عليه ما عنتم واصح
من ذلك عليه ما عنتم ما معربة مبتدا وخبرا بجعل الوقف على عزيز كما قال
به كثير وما جاء في السنة اذا حمي الوطيس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم
مع ما ينضم الى ذلك مما يستدل له بالعادات المستقرة لمن فوض الملك اليه امر
مملكته من الممالك واستحفظ عليها واستخلف فيها ثم اراد نقله عنها يستعرض
عند ذلك جميع ما احاط به نظره من امورها ايام ولايته عليها ويستعد لما يسال
عنه من امورها ليكون على اهبة لما يطلب منه هذا مع كثرة وفود رسل الملايكة
اليه بنقله الى المملكة الاخرى فيتصير بين امرين من رعاية احوال الواصلين
ورعاية ما سبق شرحه وانظر اي مملكة كان فيها واي دارة واسعة كان

ثم صح

ستوليا

ستوليا عليها مع ما انضم الى ذلك مما هو فذلكة القضايا وزبدة محض هذه الاقضية من
ان الله تعالى اتحف رسوله صلى الله عليه وسلم ذلك الوقت بتنزلات جليلة وتجليات
صمدية واسرار كانت مستكنة في غيابة قدس الذات ومشاهدات كانت متبرقعة
بالاسما والصفات ولا شك في ثقل اعباء تلك التنزلات وعظيم ما يستطرق من تلك
الفاتحات اوليس كان يعالج من التنزيل شدة اوليست الصديقة قالت ولقد
رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد وان جبينه ليتفصد عرقا كيف
والله تعالى يقول سنلقي عليك قولا ثقيلا فموته الذي هو الحياة الابدية
بالافاضة الالهية له سكرات مشاهدات تبرز لاجل ضرورة ضيق نطاق
الجثمان عن محض عالم العيان بسورة سكرات مجاهدات مع ما ينضم الى ذلك
من احساسه صلى الله عليه وسلم باللقا الخاص به سبحانه على ما عنده من مزيد
الخشية وعظيم الهيبة ووافر الاجلال ووزان معرفته بربه ومناسب حاله
في العبودية في حضرات قربه فلهذه المعرفة وهذا الاستشعار ادركه من ملاحظة
ذلك الجلال واذكار عز الملك المتعال ظهر به عليه ما ظهر ولذلك قال
انا اعرفكم بالله واخوفكم منه مع ما ينضم الى ذلك بين استطارة الشوق الى خصوص
ذلك اللقا الروحي الحاصل على مفاخرة الاسراع لذلك اللقا السبوحي حتى يريد
ان يخرج نفسه اخراجا ويدرجها بسرعة في غيب ذلك القرب الخاص ادراجا
فلا جرم ينشا من ذلك من قهر علائم الطبيعة وضغط حصر مزاج البشرية ما
يقوى به الانتقال ويظهر به سلطان الحال ومن هنا وصف صلى الله عليه وسلم
المومن بانه عند حضور اجله تتهوع نفسه وقال احب لقا الله فاحب الله لقاه
والمنافق يتبلع نفسه وقال كره لقا الله فكره الله لقاه مع ما ينضم الى ذلك من
تعلق اهل عالم الدنيا بمن له انتساب الى حضرته العلية بل من كل ما له تعلق من تلك
الامدادات المحمدية ببقايه في هذا الوجود ومدامد حياته التي هي حياة كل موجود
وهو صلى الله عليه وسلم ذو المراة التي لا اسطع من شعاع ضيايها ولا ابدع من
صقالة صفايها لتنطبع تلك التعلقات من حضرته الشريفة بمراتها ومقتضى
ما ذكر في هذا الانطباع وتعلق هذا العالم باذياله تفيض حالة ترحاله
وانتقاله فيبقى علا على طرفي نقيض لا على ان الله تعالى يقهر امره امروا بما هو على
اعطايه تعالى الاشيا مقتضاها واظهار سلطنة حبيبه بقوة تعلق الكاينات
بما منح من تلك المرتبة الشريفة واعطايه مع ما ينضم الى ذلك من اجرا الله
تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على اوصاف العبودية التي هي اشرف
الاوصاف واجل محاسن محامد الاتصاف اوليس قد خيره الله بين ان
يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا وقال اجوع يوما
واشبع يوما واكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد ومقتضى مزاج
العبودية عدم الارفاه بل مقاساة المكاره ومعاناة الشدايد في جنب

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)